



الْعَبْثَةُ الرَّوحِيَّةُ فِي الْمِثْقَالِ



عَلَى الْجَمْعِيَّةِ ط



احترنا للطالب

الشيخ محمد بن
عبد الله بن محمد بن
أحمد بن محمد بن
أحمد بن محمد بن
أحمد بن محمد بن

العبادة الروحانية في الميثاق

بقلم
علي الجمبلاطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

من الميثاق الوطني

- إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .
- إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته . . وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .
- على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات .
- وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد .

التعبئة الروحية في الميثاق

معنى الروحية :

الروحانية كلمة ترجع إلى (الروح) . . والروح هي قوى النفس التي توجه الإنسان في اتجاه خاص وبالأخص في اتجاه السلوك العملي والتصرف الخلقى . ولو تتبعنا كلمة (الروح) لوجدناها تستخدم دائماً في مقابل (الجسم) ورغباته أو في مقابل القوى الحيوانية التي للإنسان . وكأن الإنسان على هذا — مجموع نوعين من مصادر القوى : أحد هذين النوعين يحمله على السعى والكفاح في سبيل البقاء الشخصى والنوعى . والنوع الثانى منهما يقوده في ذات الطريق الذى تتميز به الإنسانية والذى يعبر السير فيه عن السلوك الإنسانى الخالص .

ومن أجل أن (الروح) مصدر التوجيه السلوكى فى الإنسان عنيت الفلسفة القديمة — كما عنيت رسالات الأديان السماوية — بها وتوجيهها وكان مظهر هذه العناية يتجلى مرة فى الحث على ممارسة الرياضة النفسية حتى لا تخضع النفس لسلطان البدن ورغباته ويتجلى مرة أخرى فى تنوير الإنسان بقيم الحياة الإنسانية كحياة

يسود بها الإنسان على ما عداه . وكذا بتنويره بقيم ما عدا هذه الحياة مما يسمى بالحياة المادية . وحينئذ عرف في تاريخ الحياة العناية للإنسان اتجاه المتصوفة والنسك كما عرف في تاريخ الفكر البشرى ما يسمى بالفلسفة الأخلاقية وفي ثقافة المجتمع الإنساني ما يسمى بالتوجيه الديني .

والتصوف والفلسفة الأخلاقية والتوجيه الديني جميعها مصادر لا يقاط الإنسان في أن يكون سلوكه إنسانيا أو روحيا وإذن (الروحية) و (الإنسانية) سواء فيما تهدف إليه كلتاها ولا نقصد بالروحانية أو الإنسانية سوى أن يكون الإنسان في صفاء مع نفسه ومع غيره في مجتمعة بحيث لا تظغى عليه قواه الأخرى وهي القوى الحيوانية فيه .

التعبئة :

وكلمة (التعبئة) معناها الشحن ، والتعبئة الروحية إذا معناها شحن الروح بالتوجيه الإنساني أو على الأقل : تهيئتها وإعدادها لأن تسير في طريق السلوك الإنساني لتحقيق القيم الإنسانية الفاضلة ومخاطبة النفس ودعوتها كي يبق لها الطابع الإنساني في تفكيرها . وفي سلوكها سلوكا فرديا أو جماعيا . والقيم الإنسانية هي المبادئ العليا التي تحقق حياة السلم والاستقرار في نفس الفرد وحياة الإخاء والتعاون في المجتمع الإنساني ، هي مبادئ الحرية والعدل

والمساواة والتعاطف والمحبة وكل ما يسميه الأخلاقيون فضائل فردية أو جماعية وكذلك كل ما يأمر به الدين أو يستحسن فعله من الإنسان .

فإذا تضمن توجيه الإنسان هذه القيم ودعا إليها كان ذلك تعبئة روحية ، وإذا قامت التربية بتوجيه الإنسان إلى تلك القيم الإنسانية التي قد تسمى بالقيم الأخلاقية أو الروحية ، وإذا تكونت عادات الناشئة على احترام هذه القيم وتقديرها كان ذلك كله تعبئة روحية .

وأعتقد أن مجتمعنا اليوم أصبح ذا وعى قوى بضرورة التعبئة الروحية فهذه أى مجتمع يحاول أن يتخلص من مصادر الضعف الاقتصادى والسياسى ، ويحاول أن يحقق له فى مقابل ذلك وضعاً قوياً فى مجالى الاقتصاد والسياسة — لابد أن يعنى بمجال (الروح) أو بالتعبئة الروحية . لأن اقتصاد أى مجتمع لا يزدهر إلا إذا قام على تعاون وثيق بين أفرادهِ ولا يدفع إلى هذا التعاون الوثيق فى مجال الاقتصاد إلا إدراك أفرادهِ لقيم الإخاء والمساواة والترابط ، وإلا إيمانهم بهذه القيم والسعى إلى تحقيقها .

قد يحمل القانون على التعاون فى هذا المجال بحكم ما يصاحب هذا القانون من سلطة تنفيذية، ولكن سيبقى هذا النوع من التعاون متخلفاً فى نتائجه عن ذلك النوع الآخر القائم على الإدراك والإيمان والسعى الذاتى لدى الأفراد .

وإن سياسة أى مجتمع داخلية أو خارجية لا تنجح نجاحاً واضحاً إلا إذا ارتبطت بما لدى الأفراد من شعور قوى بالإخاء والمساواة والعدل والحرية أى إلا إذا ارتبطت بالقيم الإنسانية وبالتالي إلا إذا ارتبطت بالمعاني الروحية وقد تسير السياسة خطأ فى طريقها بدافع القانون ولكن شتان بين دفع القانون وذلك الدفع الذى أسس على شعور ذاتى بين الأفراد .

وإن الوضع فى أية نهضة وفى أى مجتمع يتصل اتصالاً وثيقاً بالطاقات النفسية فلـكى تكون نهضة المجتمع نهضة ذاتية يجب أن تنبثق عن توجيه طاقات النفس .

وإننا بعد قيام الثورة المصرية الكبرى كان من الضرورى أن يعقب قيامها برنامج ضخم للتخطيط والتصنيع تتكافأ ضخامته مع مافاتنا خلال السنين الطويلة التى رزحنا فيها تحت نير الإقطاع والاستعمار والفساد وكان المحتوم والنورة من الشعب والشعب ضد أعدائه أن يتجه الباحثون إلى حماية هذه النورة وإلى تحمل جميع الأعباء التى تفرضها لمصلحة المجتمع ولمصلحة الفرد فى تنفيذ برنامجها المرسوم . ولكن تنفيذ هذا البرنامج المأمول كما يحتاج إلى قوة بشرية كبيرة فإنه يحتاج أيضاً إلى طاقة روحية أكبر تدعم كيانه وتصون بناءه وتهب له القوة اللازمة للنجاح وتمده بالكفاية الضرورية للتنفيذ . وهذه الطاقة الروحية التى لا بد منها إنما مبعثها

فى الحقيقة هو الإيمان . الإيمان الذى يكشف للإنسان حقيقة
وحقيقة الكون ويمد بصيرته بالنور . وهذا الإيمان الذى نشير
إليه هو الأساس لكل إيمان . هو الأساس لإيمان الإنسان بنفسه
وبوطنه وبجميع الحقائق الشريفة التى وصل إليها العقل البشرى فى
جميع العصور والأجيال . وإنما كان كذلك لأنه مصدر لجميع
الأفكار الإنسانية التى وصل إليها الإنسان فى حياته منذ البداية
كالعدل والشرف والإباء والتضحية ولأنه خالق للأمل الذى
بدونه تصبح الحياة عبثاً لا يطاق وهذا هو الذى لم يستطع الماديون
أن يدركوه فأخطئوا النظر إلى الإنسان وحسبوه آلة تسيروها
القوانين الميكانيكية وما هو كذلك فالإنسان فى الواقع قوة روحية
ضخمة . قوة تكمن فى نفسه لا تستطيع أن تقف أمامها أى قوة
مادية مهما بلغت وهذا هو سر تفوقه وسر بقاءه ومجتمعنا الذى تبذره
الثورة وتخطط له حياته وتدعم له مستقبله بهذه الانتصارات الضخمة
فى شتى الميادين مجتمع يحكمه الإيمان بالقوة المسيطرة على كل شئ
والمدبرة لكل شئ . والإيمان بالإنسان كقوة روحية هائلة ،
هو مجتمع لا تحكمه إلا الأفكار المنبجعة عن هذا الإيمان الروحى
مجتمع وجد نفسه وعرف حقيقة وأرسى قواعد حريته لأنه
يريدها وهو صاحبها ولأنه بدونها لا يبدع ولا يشق طريقه إلى الغد
المنتظر فى كفاءة وشجاعة .

الإيمان كقوة روحية هائلة يمدنا بالقوة الضرورية لبناء مجتمعنا على أسس اشتراكية ديمقراطية تعاونية ووشائج الإيمان في نفس مجتمعنا راسخة رسوخ الجبال .

منزلة الدين في مجال التعبئة الروحية :

وإذا عرفت البشرية والمجتمعات الإنسانية مذاهب التصوف ، ومذاهب الفلسفة الأخلاقية ورسالات الأديان السماوية كمصدر لتوجيه الروح توجيهاً إنسانياً يقوم على تحقيق أخص ما للإنسان في حياته وهو ماله من قيم - فإن الدين من بين هذه المصادر كلها له الصدارة والمنزلة الأولى . وسبب ذلك أن الرياضة النفسية التي تطلبها مذاهب التصوف المختلفة شيء محمود في ذاته ولكن ممارسة هذه الرياضة ليست في استطاعة كل فرد بل إنها ليست في استطاعة أكثر الناس . ومن ثم فالاستجابة لها تكون استجابة محدودة .

وأما المذاهب الفلسفية الأخلاقية فإنها وإن كانت تدعو إلى الفضائل وتحقيق المثل العليا في حياة الإنسان . فإنها فيما بينها متفاوتة ومختلفة : سواء في تحديد هذه الفضائل أو في تحديد تلك القيم فمثلاً الميكيا فيلية ومذهب المنفعة يعدان من المذاهب الأخلاقية الفلسفية .

وهنا يكون الدين - لأنه رسالة السماء - مصدر التوجيه

الذى ارتفع عن غلو مذاهب التصوف ، وعن تفاوت واختلاف مذاهب الفلسفة الأخلاقية .

ومن أجل هذا نرى فى تاريخ المجتمعات الإنسانية اقتران الدين بالروحانية ونرى ارتباطاً بينهما — وإذا فاق الدين الآن مذاهب التصوف والفلسفة الأخلاقية فى توجيه الروح وفى الإيمان بالقيم الإنسانية والسعى إلى تحقيقها فالتعبئة الروحانية يجب أن تكون مستوحاة من توجهات الدين وتعاليمه كما توحى بها مصادر الدين نفسه فى سلامتها وفى وضوحها والدين كما نعم ضرورة فردية وضرورة اجتماعية وهو دفع إلى تكوين الحضارة الإنسانية وإلى بقائها ، إذ الحضارة الإنسانية ليست تقدماً فى الآلة والمصنع وإنما هى تقدم فى الخصائص الإنسانية . الحضارة الإنسانية ثمرة الإنتاج الإنسانى وليست ثمرة الآلة . وليست الآلة إلا فى خدمة الحضارة الإنسانية ولكنها ليست من مقوماتها .

والمجتمع بدون تعبئة روحية مجتمع يسانى . وتعبئة روحية بدون دين مجرد غير منمرة .

الميل :

لقد كان الرئيس المفدى جمال عبد الناصر موقفاً كل التوفيق حينما اختار لفظ الميثاق ليجمعه عنواناً على المبادئ العليا التى أراد أن يرتبط بها ، وأن يرتبط بها جميع أفراد الأمة ذلك بأنه يريد

عهداً وميثاقاً يعاهدون الله عليه وتتلاقى عليه قلوبهم وألستهم وأعمالهم وتصدر عنه قوافلهم الإصلاحية التقدمية في السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد والعمل والسعى والعلاقات الخاصة والعامة في البلاد وخارجها وقد قدم رئيسنا الملمهم إلى شعب الجمهورية العربية المتحدة وإلى الشعوب العربية والآسيوية والإفريقية وسائر شعوب العالم ميثاقنا الخالد الذى سينير الطريق أمامنا ويسهم فى تطوير النهضة الاجتماعية للانسانية كلها والميثاق حين يتولى تحديد القيم والمفاهيم للبعث مع الجديد فهو يمثل نقطة انطلاق ثورية للمستقبل وهو وقفة على الطريق الثورى الطويل يتجمع فيها الشعب على نفسه ليلبور فلسفته ويصوغ مكاسبه ويضع الصبامات الأساسية لها ثم لينطلق بعد ذلك فى ضوئها إلى أهدافه البعيدة ولذلك لم يتضمن الميثاق إلا الأصول والكتليات العامة .

التعبئة الروحية فى الميثاق :

والقد أدرك قائدنا العظيم وباعث نهضتنا الرئيس جمال أن العالم يجتاز أزمة حضارية يشترك فى الاكتواء بنارها الشرق والغرب على حد سواء وقد تمتلأت أزمة هذه الحضارة فى ذبول العنصر الروحى فيها وطغيان العنصر الوثنى وإذا بالتقدم العلمى والصناعى الهائل الذى دفعت إليه هذه الحضارة يتم كاه بمعزل عن الجوانب الروحية للانسان كما أدرك أن أهم رسالة للشبيبة الواعية تقوم بها

في فترة تجميع طاقات الانطلاق التي نشهدها اليوم — هي العودة إلى تراثنا الروحي تتعمقه وتستلهمه وما لم توجه العناية الكافية إلى إصلاح نفوس هذه الشبيبة وملء فراغها بطاقات الخير ، وما لم توهل تأهيلاً جدياً تحمل هذه الأمانة الكبيرة فلن يتم إصلاح جدي قادر على البقاء والاستقرار . لكل هذا كان اتجاه الميثاق إلى إبراز القيم الروحية المنبثقة عن الأديان ورسالات السماء في جوهرها الصافي فهي قادرة على هداية الإنسان وإضاءة حياته بنور الإيمان .

ولقد كان معلم الثورة رائدنا العظيم عبد الناصر على يقين من أنه لكي نتقدم لابد من الاتصال بماضينا ، وماضينا هو ديننا وهو شريان حياتنا وهو قوتنا وعزتنا لأن في هذا الدين كل عناصر الحياة المتجددة القويمة الفاضلة فكان منا كما قال رسول الله عليه السلام (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمر دينها) وتجدد الحقائق الدينية هو إبدائها قوة واضحة تنير السبيل وهكذا فعل رئيسنا جمال في ميثاقه العظيم وسلك لذلك سبيلين :

السبيل الأول : قد برز في أنه لمس حقيقة الأديان وجوهر رسالتها وأنها قبل أن تكون نصوصاً إنما هي (روح) من الله لا روح تحيا بها الأبدان ونحوها بل روح تهب الإنسان (طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) وأن حياة الإنسان هي حقيقة الباطنة حياة المبادئ والمثل لا حياة بدنه الذي يغدو ويروح

بين الناس وأن الوجود المعنوي لا الجثاني أو (الحقيقة الإنسانية) ليست شيئاً من قبيل المادة وإنما هو مجموع المثل الفاضلة والصفات الكريمة والمبادئ الروحية التي يجب أن تحكم حياته وتصرف إرادته . لمس كل ذلك فاتخذ هذا سبيله الأول للتعبئة الروحية في الميثاق ويتضح هذا في أن الميثاق من أوله إلى آخره تقويم صالح لروح الشعب عبر التاريخ من أقدم العصور إلى اليوم ثم هو يرصد ما يكون من أمر ذلك الروح في المستقبل من تغييرات ثورية يعبر بها عن مشيئته وهو يمجّد روح ذلك التاريخ وتفاعله مع ماحوله وما أفاض عليه الإسلام وبث فيه من بصائر النور وطاقات الحياة والقوة فيقول في الميثاق (وهي - أي مصر - لم تعيش حياتها في عزلة عن المنطقة المحيطة بها بل كانت دائماً بالوعي - وباللاوعي في بعض الأحيان - تؤثر فيما حوّلها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعوني صانع الحضارة المصرية الإنسانية الأولى وكان الفتح الإسلامي ضوئاً أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحي) وهذا التقويم الواضح الراشد لروح الشعب في فرعونيته وإسلامه والتتويج بفضل الإسلام في تركيزه وإعلانه يجعلنا نلمح بالنساء حين يمضي الميثاق في تقويم الدور الرابع الذي أداه ذلك الروح في إطار مناهج الإسلام فيجعله أعظم الأدوار على الإطلاق كما نص الميثاق (وفي إطار التاريخ الإسلامي وعلى هدى

من رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعاً عن الحضارة الإنسانية وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثماني على المنطقة بأسرها كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها (فإذا جثم الظلام بالغزو العثماني اضطر الروح الضخم أن ينطوى على نفسه يجمع طاقاته في انتظار الفرصة التي يستأنف بها عمله الإيجابي تاركاً للمستعمر وأعوانه أن يظنوا به الاستسلام أو الفناء وهذا يصدق على أيام محنتنا بأسرة محمد علي والاحتلال وفي هذا يقول الميثاق (ومن عجب أن هذه الفترة التي ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات في تاريخ مصر بحثاً في أعماق النفس وتجميعاً لطاقات الانطلاق من جديد . لقد ارتفع صوت محمد عبده في هذه الفترة ينادى بالإصلاح الديني) وبعد أن نرى تقويم الميثاق للدور الرائع الذي أداه روح الشعب الخلاق المبدع في إطار مناهج الإسلام نرى ضمير الثورة المؤمن يقدر الدين ويؤمن به كله ويأبى أن تكون الثورة حركة علمانية لا ترتبط بدين ولا تركز على عقيدة وهنا نرى الميثاق ينظر إلى الأديان النظرة التي تستصفي الروح وتستخلص الجوهر فهو روح وقيم وثورات . جوهر إيجابي لا يتصادم مع حقائق الحياة وهذا ضمير الثورة المؤمن في الميثاق (يوجب للعقيدة الدينية قداسها في حياتنا الجديدة الحرة) ويهيب في قوة أن تجعل (واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ

للدين بجوهر رسالته) وإنا لنحمد لثورتنا المؤمنة هذه النظرة
السامية للدين في عصر يعلن فيه قادة الثورات الملحدة أن الدين
سبب التخلف والجمود بل يصفونه بأنه مخدر للشعوب ولكن قائدنا
المؤمن يعلن في الميثاق (أن قيم الدين قادرة على منح الإنسان طاقات
لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) كما يعلن (أن رسالات
السماء كلها في جوهرها ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان
وسعادته) وذلك لأنه لمس حقيقة الأديان وعلم أن الدين روح
قدسي وفي الإنسان روح قدسي فإذا التقى وحى السماء بالسر المضمّن
في كيان الإنسان نشأت الطاقات التي لا حدود لها (في مثل الحق
والخير والمحبة) وكذلك يقرر الميثاق (أن جميع الأديان ذات
رسالة تقديمية) ثم لا نلبث أن نرى في الميثاق أثر الدين في تحويل
الإنسان إلى طاقة إيجابية تبذل أو تنتج للإنسانية أفضل مثلاً
وقيماً كما أسلفنا فيقول الميثاق (إن القيم الروحية الخالدة النابعة
من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور
الآيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من الخير والحق والمحبة)
وبعد أن يشير الميثاق إلى الثورية والتقدمية في رسالات السماء
وأنها لا تتصادم وحقائق الحياة يقرر أنها دستور لحقوق الإنسان
في الحياة والحرية والفرص المتكافئة إذ يقول (إن جوهر الأديان
يؤكد حق الإنسان في الحياة وفي الحرية بل إن أساس الثواب
والعقاب في الدين هو فرصة متكافئة لكل إنسان . . إن كل بشر

يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله
باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل
والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلّة منهم) ولقد جاء
الميثاق وليدًا لمجتمعنا الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الذي يؤكد
العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص أمام الشعب بمختلف طوائفه
وهيئاته ولقد أكد في طياته أساساً سليمة حتى يمكن للمجتمع
أن يحققها وفقاً للتخطيط الاشتراكي المنبعث من احتياجاتنا وكياننا
وتاريخنا وديننا ولقد أشعر الميثاق كل فرد بأنه استعاد حقه في
حياة كريمة يمكن أن يرسى جذورها بنفسه ليحقق آماله وأمانه
في الحياة (وأن الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام
البشر أساساً للعمل في الدنيا والحساب في الآخرة) وتأكيذاً لهذا
الأصل الديني العام كان طبيعياً أن يؤكد الميثاق أساساً لبناء المجتمع
الجديد (أن حرية الإنسان الفرد هي أكبر حوافزه على النضال
وأن حرية كل فرد في وضع مستقبله وفي تحديد مكانه من المجتمع
وفي التعبير عن رأيه وفي إسهامه الإيجابي في قيادة التطور وتوجيهه
بكل فكره وتجربته وأمله، هي حقوق أساسية للإنسان لا بد أن
تصونها له القوانين) وعلى قدر هذا الإيمان بالقيمة الذاتية للإنسان
الفرد بحريته وبقدرته على دفع التطور كان تصوير الميثاق لفلسفتنا
الذاتية في الاشتراكية الديمقراطية وكان مدخلنا الرئيسي لهذه
الفلسفة الذاتية عقيدتنا في أنه (لا حرية للفرد بغير تحريره أولاً من

برائن الاستغلال بكل صوره) وهو ما يجعل الحرية الاجتماعية حسبنا أكد الميثاق بحق مدخلا إلى الحرية السياسية بل هي مدخلها الوحيد فليس مما ينكر أن ضمان رغيف الخبز أمر لا بد منه لحرية تذكرة الانتخاب .

وإن هدف الثورة الأسمى الذى ثبتت النظر عليه هو إعداد الشعب بأسره لرسالة السلام وإبداع الخير وفى ذلك يقول الميثاق (إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادئ السامية .. إن شعبنا قد عقد العزم على أن يعبد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق والكفاية والعدل بالحب والسلام) وإذا جعل غيرنا ضرورة الاقتصاد غاية جهده فغايتنا الإنسانية تجعل لنا فى فهم الاقتصاد وجها آخر يقرره الميثاق فى قوله (وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الحزب المباشرة وحدها .. إن ذلك يصبح تفسيراً ضيقاً لرغيف العيش الذى نريده) وعلى قدر ما أشاد الميثاق بالأدوار الثورية التى اعتمدت على الوسائل الحسية لتنظيم مجتمعنا عاد يقرر (وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد) وهناك نزعات سطحية يغذيها الغرور بأخلاق مشوشة من الثقافات الأجنبية وما تلقفت من قشور المذاهب المنحرفة مما جعل الثورة

تجرد العزم لصيانة ضمير الأمة بما عسى أن يلقيه فيه أصحاب هذه النزعات وما يتسلل في نفوس الشعب من المآثم وذلك بتزييف الأهداف أو غموضها أو تقريب مداها في لقمة العيش التي يتعجلونها وهنا يذوى الوجود الروحي في الضمائر وهي جناية على الضمير الإنساني وعلى الانطلاق القومي الذي لا يجديه إلا أن ينبعث عن طاقات حاملة لا عن طاقات آلت إلى فراغ لا غناء فيه وفي هذا يقول الميثاق (إن تحريك طاقات الشعب إلى العمل لا يجب أن يتم عن طريق إغراق الجماهير في الأمل .. إن التغيير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى إلى الأهداف المرجوة من النضال وليس من حق في هذه المرحلة أن نخدع الجماهير بالمتى) ويصف الميثاق تلك النزعات الطائشة بأنها (مراهقة فكرية) ويعلن أنها (خطر ينبغي التصدي له والقضاء عليه فإن الذين يجمدون الكفاح الوطني بتفسيرات تحد قدرته على الانطلاق إنما يقللون من قدرة المجتمع بقدر ضعفهم .. إن التقدم الوطني لا يحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته) ومن هنا يتضح أن سبيل التقويم الصادق للعمل التوري أن ترد تلك الأعمال إلى المسار الذي لا يختلف ذوو البصائر على اعتماده وهو الغاية . وإنا نقرر أن ضمير الشعب النقي المؤمن إذ ألهم طلائعه الثورية حقيقة الغاية التي أعد لها الإنسان

إنما ألهما أشرف غاية في الوجود . وفي هذا يقول الميثاق (لقد كان هذا الشعب العظيم هو المعلم الأكبر الذي راح يلقي طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى) وإنا لانشك وقد استهدت الطلائع الثورية ضميرها القومي المؤمن أننا سائرون إلى مجتمع أصيل يرسى بناءه على قواعد من الإيمان كما يقول الميثاق (إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه) وإنا لنذكر في كل المناسبات التقدمية أن ضمير الثورة يتخذ من الإيمان بالدين وما يمنح الشعوب من طاقات ملأه ومرفأ النجاة فعندما أشار الميثاق بدور العلم في نهضتنا بدأ يؤكد ضرورته لنا بقوله (إن العمل الثوري لا بد له أن يكون عملاً علمياً وإذا تخلفت الثورة عن العلم فعنى ذلك أنها مجرد انفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبته الطويل دون أن تغير من واقعها شيئاً) ويمضى في بيان مكان العلم في حاجتنا إليه ذاكرًا في أسف ما كان من تفريط في الماضي وينتهي بصيحة مصممة (إنا لانستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منذ الآن في عصر الذرة) حتى إذا اطمأنت المراهقة الفكرية بدعوتنا إلى العلم المادى أخدم الميثاق بهذه الدعوة المفاجئة في قوله (على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها

الحضارى قادرة على صنع المعجزات . . إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة كما أنها تسليحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجهها جميع الاحتمالات) وهى ليست مجرد تقرير نظرى أو بجمالة عابرة للمؤمنين بالاديان وبالقوى الروحية وإنما هى تحدد فى وضوح غاية الحياة وموازن التقديم فى ظل نظامنا الجديد ذلك أن السعى لتحقيق الرخاء المادى قاسم مشترك بين الفلسفات جميعا وموضع تلتقى عنده النظم السياسية والاقتصادية على اختلاف صولها النظرية وأسايلها فى التطبيق وإنما الذى يميز الحضارة العربية الإسلامية عن هذه النظم والفلسفات إنما هو تحديدها لقيمة الحياة وتقويتها الخاص للجهد الإنسانى تقويما يعتمد على النية المصاحبة له وهو التقديم الذى يرشد إليه قوله تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) وكما كان الميثاق واضحا فى تحديد رسالة الأديان فى بناء النهضة المصلحية فقد كان أمينا فى تسجيل دورها فى تحقيق ما تم من ثورة إصلاحية فقرر أن هذا العمل العظيم قد تحقق بفضل عدة ضمانات يتوجها جميعا (إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى إلى الإنسان فى كل زمان ومكان) .

ولقد جاء الميثاق واضحا فى تحديد معالم الاشتراكية العربية التحديد الذى يرفع كل لبس حول حقيقتها ثم جاء السيد الرئيس

جمال عبد الناصر فأكد عمق الفوارق التي تميز اشتراكيتنا العربية عن الاشتراكية الماركسية في النظر والتطبيق جميعاً ولا نشك لحظة في أن الإسلام بعقيدته وفلسفته الأخلاقية وشريعته قد كان وسيظل دائماً وراء هذه الاختلافات الرئيسية وترجع إلى أمور ثلاثة :

١ - الأمر الأول يتصل بإيمان الفلسفة التي قام عليها الميثاق بالله تعالى وكتبه ورسله وإيمانها بالقوى الروحية في الإنسان باعتبارها قوى أصيلة موجهة لا قوى تابعة ولا محكومة ومعروف أن الفلسفة الماركسية تقوم على التفسير المادى المطلق من جهة ولحاجز العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من ناحية أخرى .

٢ - الأمر الثانى يتصل بجوهر النظام الاقتصادى وهو الحق فى الملكية الفردية فيما تقوم الاشتراكية الماركسية على محاربة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج كما ترى الميثاق يقرر مراعاة (أن سيطرة الشعب على كل أدوات الإنتاج لا تستلزم تأميم كل وسائل الإنتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الإرث الشرعى المترتب عليها) ثم يقرر فى صراحة أن (المواجهة التورية لمشكلة الأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك) كما يعود فيؤكد ضرورة وجود قطاع خاص إلى جوار القطاع العام ملاحظاً أن (استمرار دور القطاع الخاص بجانب القطاع العام يزيد من فعاليات الرقابة على الملكية الشعبية العامة ويقوم بدور عامل منشط

لها) ولا شك أن الميثاق في تقريره أصل الملكية الفردية على هذا النحو كان خاضعاً لما تملّيه ربح الإسلام فموقف الإسلام من الملكية الفردية لا يحتمل التأويل والله تعالى يقول (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) ويفيض في الاعتراف بملكية الأرض مع إلزام مالكيها بأداء حقها من الزكاة أو الضريبة فالملكية الفردية في الإسلام حرمة لا يقيدوها إلا ما يقيد الحقوق كلها من ضرورة رعاية حق الله فيها قال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

٣ - الأمر الثالث الذي أسهم الإسلام في تحديد موقف الميثاق منه هو نظرة، إلى الصراع بين الطبقات فالاستراتيجية الماركسية تعتبر هذا الصراع بين الطبقات القوة الدافعة الكبرى ثم هي في علاجها لهذا الصراع لا تتبع أسلوباً سليماً يقرب بين الطبقات أو يمنع ظلم إحداها لسايرها والقرآن يتحدث كثيراً عن طبقة «المترفين» في المدن والقرى التي أرسل إليها الأنبياء والمرسلون ويشير إلى ذلك الصراع بقوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وإنما يظهر الفارق الحاسم بين الإسلام والماركسية في علاج الإسلام للظلم الاجتماعي الذي يؤدي إليه استبداد طبقة من الطبقات فبينما تحارب الماركسية الظلم بالظلم وتحرك لذلك أحقاد الطبقة المظلومة تمهيداً لإعلانها الطبقة المنتصرة الظالمة نرى الإسلام

في اعتدال وروح مسالمة بنامة يعلم المظلومين أن الظلم لا يحارب إلا بالعدل وقد أعلن النبي مبدأ العدل الإسلامي في ذلك بقوله تعالى (فإن تبتم فلم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وتأثرا بهذه الروح الإسلامية المسالمة جاء الميثاق مقررًا أن الطريق الاشتراكي الذي سارت فيه البلاد يتيح الفرص (لحل الصراع الطبقي سليما) ويتيح بذلك (إمكانية تذويب الفوارق بين الطبقات) كما أكد في وضوح أنه جاء (لتذويب الفوارق بين الطبقات وإنهاء سيطرة الطبقة الواحدة) فسيل الاشتراكية العربية إذن هو إنهاء سيطرة الطبقة الواحدة أي طبقة وليس استبدال ظالم بظالم أو طبقة ظالمة بأخرى .

ولعل فيما قدمناه عن اشتراكيتنا العربية خير تمهيد للحديث عن السبيل الآخر الذي سلكه باعث تراثنا الروحي وحضارتنا الإسلامية الرئيس جمال في التعبئة الروحية في الميثاق .

السبيل الآخر : إنه أدرك أن الإسلام الحنيف بما رسمه لمجتمعه من حدود ومبادئ لأصلاح الفرد وتوجيهه إلى أسنى المعاني النفسية والخلقية باعتباره اللبنة الأولى في بناء المجتمع ثم رسم من المبادئ والتعاليم ما يعمق في نفسه الشعور الديني ويقوى لديه الإحساس بالكرامة الإنسانية فيتجه بحبه ومشاعره إلى الجماعة يعمل فيها ويتفاعل معها تفاعلا إيجابيا بناء . لمس هذا في الدين القيم

فأقام دعوة الميثاق الوطني في جوهرها وآمالها وأهدافها على دعوة الاسلام وجعل قيمه العليا تلتقى مع القيم الانسانية التي ننشدها في مجتمعنا الاسلامي فاتخذ سبيله الآخر للتعبئة الروحية في الميثاق المطابقة بين كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام وبين دعوة الميثاق لتستقر هذه الحقائق في يقين الناس على أساس من الثقة بالكتاب العزيز والحديث الشريف ولتجد به الضمائر زادها الذي تحيا به وتبصر حقيقة الحياة .

وهذه هي المبادئ الستة المشهورة التي أتت بها التورة لمواجهة ما كانت عليه حالنا قبل الثورة وكلها من صميم تعاليم الدين القويم ولها من كتابه إسناد وإسناد وقد نزه الميثاق عن هذه المبادئ في بابه الأول :

١ - (فالقضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين) هو صدى لما يطلب الإسلام لأهله من العزة قال تعالى (والله العزة لرسوله وللمؤمنين) ويندد بأعوان الاستعمار واتخاذ اليد عند الأعداء في قول الله (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنحون عنهم العزة فإن العزة لله جميعا) .

٢ - (أما القضاء على الاقطاع) فإن الإسلام لا يرضى عن الكسب إلا إذا كان مشروعا ومن موارد طيبة لامن الاستغلال

والكسب غير المشروع كما كان يفعل الكثيرون من أصحاب
الملايين قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) وقوله جل شأنه (والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
أليم) .

٣ - (والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على
الحكم) هو مبدأ الإسلام في النهي عن الاحتكار وأن المحتكرين
مطردون من رحمة الله ولا يرضى بأن يكون للمال سيطرة على
الحكم قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها
إلى الأحكام إنما كدوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)
٤ - (أما إقامة عدالة اجتماعية) فهي أمر الإسلام بإقامة
العدل قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) ويجمع
بين العدل في الحكم والعدل بين أفراد المجتمع في حياة قوامها
الاحسان والبر والنضام الاجتماعي قال تعالى (إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)

٥ - (أما إقامة جيش وطنى قوى) فهي استجابة لدعوة
الدين الحنيف بإعداد القوة فى كل جانب من جوانب الدولة ومن
أولها الجيش المدافع عن البلاد قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من
دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

٦ - (وأخيراً إقامة حياة ديمقراطية سليمة) وهي مبدأ الإسلام في الدعوى إلى الشورى وإقامة الحكم على أساسها فيصف المؤمنين بقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ويأمر الرسول الكريم بقوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) هذه هي المبادئ الستة التي قامت على أساسها النورة المباركة والتي سجلها الميثاق ارتباطاً مع الأمة عايتها ثم يتحدث الميثاق بعد ذلك عن القدرات الثلاث التي يجب أن تسلك بها النورة نفسها لتصمد لمعركة المصير التي تخوض غمارها وهذه هي القدرات :

١ - (الوعي القائم على الإقتناع العلى النابع من الفكر المستنير والناجم عن المناقشة الحرة التي تتمرد على سياط التعصب أو الإرهاب) وهذا ما يرشد إليه الدين القيم حين ينهى عن أن يتبع الإنسان ما ليس له به علم ويعتبر الإنسان مسئولاً عن منافذ العلم فيه من سمع وبصر وقلب قل تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ثم يدلنا على المنهاج العلى السليم من استماع سائر الأقوال ووزنها بالبحث والنظر والمناقشة الحرة الخالية عن التعصب لاتباع الأحسن بعد المعرفة قال تعالى (والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

٢ - (والحركة السريعة الطليقة التي تستجيب للظروف في

مجاوبة النضال مع الارتباط بأهدافه ومثله الأخلاقية (فلاستجابة للظروف تتضح في قوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) فإذا انتهك الأعداء حرمة المسجد الحرام بالقتال فيه فلا نقف جامدين بل نبادلهم القتال استجابة لهذه الظروف على وجه السرعة . أما رعاية المثل الخلقية والأهداف فهي مثالية حرص عليها الميثاق وتتضح في قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) فهو أمر بالقصاص مع مراعاة مثله وأخلاقهم المعبر عنها (بتقوى الله) .

٣ - (أما الوضوح في رؤية الأهداف وتجنب الانسياق الانفعالي) فذلك أساس عام في الثبت والتبين قبل الحكم على الأشياء وعدم التأثر بالانفعالات التي يؤدي التأثر بها إلى الابتعاد عن الطريق القويم ثم الندم فيما بعد وهذا يتضح من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قومه بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) هذه فقرات تصور المبادئ التي قام عليها الميثاق وتبين أنها تلتقي بمبادئ الإسلام . وهكذا ينص الميثاق في بابه الثامن مع التطبيق الاشتراكي ومشاكله (إن العمل الإنساني الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكي يحقق أهدافه . العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب

والعمل حياة . إن العمل الإنساني هو المفتاح الوحيد للتقدم .
إن العمل الوطني المنظم القائم على التخطيط العلمي هو طريق الغد)
وهذا هو الإسلام يجعل العمل رأس المال قبل كل شيء قال عليه
السلام (جعل رزقي تحت ظل رمحي) وقال تعالى (هو الذي جعل
لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) والقرآن
يدفعنا إلى العمل دفعا فقال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون) وقوله (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
وابتغوا من فضل الله) والعمل في الإسلام مطلق واسع الرحاب
غير مقيد بإطار طالما ليس فيه إضرار بالغير ، والإسلام حين
يفتح باب العمل على مصراعيه أمام المسلمين كافة إنما يدفعنا
إلى الكسب الحر النظيف في تجارة ورزق كبير قال تعالى (لإيلاف
قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت
الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) كما أمرنا أن نسلك
طريق الزراعة لنطعم وتنعم قال جل شأنه (فلينظر الإنسان إلى
طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم
ولأنعامكم) ووجهنا للصناعة وما فيها من أهمية ويشير إلى صناعة
الحديد (فيه بأس شديد ومنافع للناس) وقال تعالى (وعليناها
صناعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) وقال تعالى في صناعة

الملابس (قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشا) والله يجعل العاملين مراتب بحسب العمل قال تعالى (ولكل درجات بما عملوا) وقال (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) .

ويقول الميثاق (إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ولا يمكن أن تتحقق الديمقراطية السياسية في ظل سيطرة طبقة من الطبقات والصراع الحتمي يكون حله سليماً في إطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات) وإننا لنسبح ذلك في الإسلام حينما دعا إلى أن تكون ملكية الأرض وموارد الثروة ومصادر الإنتاج موزعة على ضعيد شعبي متقارب الفوارق أما إذا صار الملك والغنى في جانب والفقر والضعف في جانب آخر فالديمقراطية السياسية سراب لا حقيقة له قال تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وقوله تعالى إلى جانبه (وأمرهم شورى بينهم) إذ لا يكمل أن يكون الأمر شورى في أمة ما إلا إذا كان أفرادها ذوي أنصبة فيما يديرون الرأي فيه .

وينص الميثاق على (أن التنظيمات الشعبية وخصوصاً التنظيمات التعاونية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال لتمكين الديمقراطية السليمة) وهكذا أفسح الثوار الطريق أمام التعاون ليؤدي رسالته

المستمدة من تعليم الدين القيم ولتحقيق دعوته التي هي قيس من تلك الدعوة السماوية التي تأمر الإنسان بفعل الخير فأشار الميثاق إلى التنظيمات التعاونية والعمل على تنميتها وازدهارها باعتبارها من أجهزة الدولة الديمقراطية الاشتراكية وقد تجلت دعوة الإسلام لها وحته عليها في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله جل شأنه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

• ويذكر الميثاق أن (الحرية وحدها هي القادرة على تحريك الإنسان إلى ملاحقة التقدم وعلى دفعه . والإنسان الحر هو أساس المجتمع الحر وهو بناؤه المقتدر . ولا بد أن يستقر في إدراكنا أن القانون في المجتمع الحر خادم للحرية وليس سيفا مصلتا عليها) لقد أجمع العلماء على أن للفرد في الجماعة الإسلامية حقوقا وحریات لا يملك الحاكم أن يمسها أو ينال منها بغير حق بل إن الحرية ركيزة من ركائز العقيدة الإسلامية وإن الحفاظ على كرامة الفرد وحرية أصل إسلامي لا يتصور إهداره بغير إهدار روح الإسلام نفسه فمكانة الفرد في الجماعة الإسلامية هي المكانة الرفيعة التي وضعه فيها خالقه حيث يقول (ولقد كرّمنا بني آدم) وقوله جل شأنه (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وأول القيم في الدين الإسلامي (الحرية) إذ جاء الإسلام لتحرير

الانسان من العبودية فالحرية الدينية والحرية السياسية والحرية الفكرية والحرية الشخصية كل أولئك قيم جليلة كفلها الاسلام وحاطها بسياج من التشريع بشرط واحد هو ألا تنتهى هذه الحرية إلى الفوضى التى تضر بمصلحة الفرد و الجماعة والقرآن يقول فى الحرية الشخصية (فلا عدوان إلا على الظالمين) أما حرية المساكن فقد قررها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أما الحرية الدينية فقررها بقوله تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) .

● وينص الميثاق على مقاومة التمييز العنصرى (إن إصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو إدراك سليم للبغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى فإن التمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم) والإسلام يقرر أن الناس جميعا متساوون فى طبيعتهم البشرية وأن ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنسانى وخلقها الأول وانحدارها من سلالة خاصة وأن التفاضل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن كل ما سبق فيقوم على أسس كفايتهم وأعمالهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء وفى هذا يقول الله تعالى (يا أيها

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (وهكذا بقدر ذلك
سيدنا رسول الله عليه السلام في خطبة الوداع فيقول: أيها الناس
إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم من نسله وليس
لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا
لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى) ويذهب دينا في تقديس
كرامة الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه وعقيدته إلى أنه
بمعاملة المجوس كمعاملة الكتابيين قال عليه السلام: (سنوا له سنة
أهل الكتاب) ومعاملة الرقيق بالرفق قال تعالى: (اتقوا الله فيما
ملكتم أيما نكم)

• ويذكر الميثاق حرية العقيدة فيقول: (إن حرية العقيدة الدينية
يجب أن تكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة) .

وقد بالغ الإسلام في تقديس حرية العقيدة الدينية حتى منع
إكراه الناس على رأي ولو كان هذا الرأي هو الإسلام نفسه قال
تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال جل شأنه
(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ولم يقف الإسلام
عند تقرير هذه الحرية بل قرر لأهل الكتاب حرية كاملة في أن
يعبدوا الله على طريقته دون أن يكونوا في ذلك هدفا لسخرية أو
موضعا لأذى فقال عليه السلام (من آذى ذميا فقد آذاني) وقال
(من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة)

ومما يهش له أن اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي التي تضم مثلي ماتي كنيسة في أكثر من خمسين دولة شرقية وغربياً أصدرت خلال اجتماعها في باريس قراراً أشادت فيه بالميثاق الوطني واعتبرت اللجنة الميثاق (نبراسا لتقدير رسالة الدين ومبادئ الحرية الدينية وقواعد العدالة الاجتماعية) كما جاء في قرار اللجنة أن (الميثاق يعتبر عملاً إنسانياً يقدس حرية العقيدة ويرسي قواعد العدالة الاجتماعية على أسس قومية من الحق والخير ويرفع حقوق الإنسان فوق مستوى المآرب السياسية والمصالح الذاتية)

• وينص الميثاق على حرية التعبير بقوله : (إن ممارسة النقد والنقد الذاتي يمنح العمل الوطني دائماً فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها مع الأهداف الكبيرة للعمل) .

وكانص الإسلام على مشاورة الحاكم للرعية قال تعالى : (وشاورهم في الأمر) فقد جعل مناصحة الرعية للحاكم واجبا عليها لذلك فرضه الله على المؤمنين فرض كفاية قياماً بأصل من أصوله هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وتقبل الصجابة مناصحة الرعية وتوجيهها بصدور رجة ونفوس راضية حتى قال عمر رضي الله عنه : (رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا) فوضعوا توجيه الرعية في موضعه الصحيح والحق أن إدراك هذا الدور الذي تؤديه حرية التعبير والنقد الذاتي في

صيانة النظام الديمقراطي وجعل الرأى العام على بصيرة كاملة بمجريات المسائل العامة يجعلنا نؤمن بدعوة الإسلام له فهو مشاركة فى تبعات الحكم ووسيلة إلى تحرى الحق ومعرفة الصواب من الأمر .

• وينادى الميثاق بالمساواة بين الرجل والمرأة فيقول : (إن المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة) .

ولقد شمل الإسلام المرأة بعطفه ورعايته فى جميع شئون الحياة وسما بها إلى منزلة رفيعة لم تصل المرأة إلى مثلها بل لم تصل إلى ما يقرب منها فى أية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة ومتوسطة وحديثة وسوى بينها وبين الرجل فى القيمة الإنسانية المشتركة وفى الحقوق المدنية وفى الحقوق العامة وخاصة حق التعليم وحق العمل ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له ومراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها قال تعالى (فاستجاب لهم ربهم أى لا أغني عن عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) .

وقال جل شأنه : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلأنكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقال تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

فللرأة من الحقوق في نظر الإسلام مثل ما عليها من الواجبات وللرجل مثلها واجبات بمقدار ماله من حقوق وحتى الدرجة التي منحها الله له وجعل له القوامة على الأسرة بسببها ليست حقاً خالصاً من الواجبات .

• وينص الميثاق على حق الطفولة فيقول : (إن الطفولة هي صانعة المستقبل ومن واجب الأجيال العاملة أن توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح) وإنا لنسمع صوت الاسلام ينادى بحماية الطفولة ويدعو إلى رعايتها والعناية بتعليمها وتأديتها وعطف قلوب الآباء والأمهات على أبنائها وجعلها زينة الحياة الدنيا وشرع لها من الحقوق ما لم تدركه أوروبا إلا في أواخر القرن السابع عشر ولا يتسع المجال للإفاضة فيما قرره الاسلام للطفولة من حقوق توفر لها الحياة الكريمة المطمئنة قال عليه السلام : (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله) وقال صلوات الله عليه : (من كان له صبي فليتصاب له) وهكذا نرى الاسلام قد أنصف الطفولة فمنع وأدها وقتلها قال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) ونراه حررها عما كانت تعانيه من عسف وقسوة ثم أخذ يوصي بهم قال عليه السلام : (إلزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) .

• وينص الميثاق على حماية الأسرة فيقول : (إن الأسرة هي الخلية

الأولى للمجتمع ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التي تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطني) وللأسرة في الإسلام مكانتها المقدسة ولذلك رتب شئونها وجعلها تعيش في إطار من التكافؤ والمودة والتراحم ورسم لها خطوطا عريضة للوئام والوفاق وتجنب الشقاء والشقاق لأنها الخلية الأولى التي إذا صلح أفرادها صلح المجتمع كله قال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) وقوله جل شأنه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ثم عاد الإسلام بعد ما أكد رابطة الألفة ووشيجة المحبة والرحمة بين الزوجين ليدعو الأبناء للبر بالوالدين قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه) . وقوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وواجب الأب وواجب الأم معا أن يقررا في حياة المنزل بينهما وفيما بين أولادهما سلوكا يقوم على الإيثار والتعاون الفكري والعملية وأن تنشئ كل أسرة بنيتها وبناتها على النظام العادل الأمين الذي يستمد تعاليمه من الدين وقد قال عليه السلام : (ما نحل والد ولده نخلة أفضل من أدب حسن) وإن أفضل الأدب وأنفعه أن يتلقى الناشئ في أحضان

الأسر الراحية الصالحة تربية سليمة وتوعية وطنية ثابتة لتتوافر للأسرة أسباب الحماية وقد قال عليه السلام : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها) وبهذه الرعاية تكون الأسرة الصالحة التي يرضاها الإسلام ويوضح معالمها دستور التورة فتسكون دعائمها الخلق والدين والوطنية .

• ويقرر الميثاق عن السلام (إن شعبنا يعتقد في السلام كبداً ويعتقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد) .

إن السلام إذا كان مبدأ النورة بنص الميثاق فهو شعار المسلمين في مشارف الأرض ومغاربها منذ ظهور هذا الدين الكريم حتى اليوم وهو من أعظم القيم الدينية حتى قيل إن الإسلام من السلام الذي هو ضد العدوان سلام بين العبد وبين نفسه وبينه وبين الله تعالى وبينه وبين غيره من الناس والإسلام دين يدعو إلى السلام ويضع هذه القيمة على رأس القيم التي فيها صلاح العالم وخيره والأخذ بيده وما هي ذى ومن ورائها الإسلام تنتصر في العالم لأنها الحق قال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) فمن جاء مسلماً ينبغي أن تتعاون وإياه وبهذا التعاون يتم التآلف ويقوم العمران قال تعالى : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) .

وإذا كانت تحيتنا في هذه الحياة وعلى هذه الأرض (السلام عليكم) وهى شعارنا الذى نهتدى به فهى شعار أصحاب الجنة فى الآخرة لأنها أعظم قيمة ينالها المرء فى دنياه وآخريته قال تعالى : (دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام) وقد دعانا الاسلام إلى أن نهتدى بالسلام فى حياتنا وسلوكنا وأن نحمل سلامنا بالقوة إذا لزم الأمر فهذه الآية الكريمة تشير إلى السلم المسلح فى قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

• ويذكر الميثاق حق المواطن فى العدل فيقول : (كذلك فإن العدل الذى هو حق مقدس لكل مواطن فرد لا يمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال على المواطن ، إن العدل لا بد أن يصل إلى كل فرد حر ولا بد أن يصل إليه من غير موانع مادية أو تعقيدات إدارية) .

ولقد حرص الإسلام على توفير العدل لجميع المسلمين بل جعل العدالة واجبا إنسانياً عاماً تعيش فى قانونه الإنسانية كلها على هدى مستقيم لا عوج فيه وعندما نتجه إلى نصوصه يواجهنا قول الله سبحانه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) ويواجهنا قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل) بل إن العدالة الإسلامية تعم العدو والوئى على السواء قال تعالى (ولا يجرمكم شئآن (عداء) قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) بل جعل العدالة حقا للضعيف والقوى والجاهل والعالم والدول المتقدمة والدول المتخلفة فليس للمتقدم حق فوق حق المتخلف فى الوجود وإن الأحاديث النبوية تدعو إلى العدل فمقد قال عليه السلام عن ربه : (يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) وإن النبي عليه الصلاة والسلام ليصرح بأن كل عمل يقبل الغفران إلا ظلم العباد فإن الله لا يغفره إذا لم يسامح العباد الذين وقع الظلم منهم وإن الإسلام قد وضع بالنسبة للعدالة المطلقة فى داخل البلاد وفى علاقات الدول نظاما لم يشهد العالم مثله عدلا .

• وينص الميثاق على حق كل مواطن فى العلم فيقول (حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداداه ومواهبه إن العلم طريق تعزيز الحرية الإنسانية ، تكريمها كذلك فإن العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى وإضافة أفكار جديدة إليه كل يوم وعناصر قائمة جديدة فى ميادينه المختلفة)

ولم يسبق الإسلام دين وقف من العلم كوقف الإسلام من الدعوة إليه والإشادة بفضله فأول ما نزل من القرآن على النبي الأمى عليه السلام : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .

وفي القرآن والسنة من الإشادة بفضل العلماء ما يلفت النظر إلى سمو مكانة العلم في الإسلام قال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وفي الحديث عن النبي عليه السلام : (يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة) ويدل على فضل العلم قوله عليه السلام : (قليل العلم خير من كثير العبادة) ويحث الله تعالى على طلب العلم بقوله : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ويقول النبي الكريم : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال عليه السلام في فضل الرحلة في طلب العلم : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) ولا يرى الإسلام أن للعلم حداً ينتهي عنده العالم فقال تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فليأخذ كل بقدر طاقته ويرى العلماء أن العلم المطلوب في الشرع نوعان : (ما هو فرض عين) وهذا واجب على كل مكلف ومنه : (ما هو فرض كفاية) وهو واجب على جميع المكلفين لا فرداً بذاته وما عدا هذين النوعين فهو (مندوب أو مباح) ونتيجة ذلك كله أن العلم في الإسلام هو شرف وواجب وحق فهو شرف لما ذكرناه من النصوص التي تشيد بفضل العلم وترفع مكانة العلماء . وهو واجب لما ذكرناه من أن العلم إما فرض عين أو فرض كفاية . وهو حق فإن الإسلام يفرض على العالم أن يعلم وعلى الجاهل أن يتعلم كما قدمنا ولذا كان من الواجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل العلم وعلى

الدولة والمجتمع أن تيسر له الوصول إلى هذا الحق فهو من الحقوق الطبيعية في الإسلام .

وأخيرا نستطيع بعد هذه الجولة أن نشير إلى حقيقة ثابتة لا ندحة لنا من الإشارة إليها وهي أن الإسلام قد عني بوضع تنظيم شامل للدولة وللجتماع الذي تقوم عليه الدولة ، وضع هذا التنظيم في صيغة مبادئ كلية وأصول عامة كما أسلفنا وعهد إلى العقل الإنساني أن يبني على هذه الأصول جميع الأوضاع والأجهزة التنفيذية التي تعني بحاجات عصره على ضوء ظروف هذا العصر بشرط أن يكون هذا البناء دائماً في إطار هذه الأصول العامة وكانت تبعة كل جيل في كيفية تطبيق هذه الأصول العامة والتعاليم الكلية وارتداد الوسائل العملية التي تضع هذه التعاليم موضع التنفيذ - كانت تبعة كل جيل في هذا الشأن تبعة كبيرة ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن جيلنا كان من أصدق الأجيال في حمل هذه الأمانة فإن مشروع الميثاق الوطني الذي قدمه السيد الرئيس المفدى جمال عبد الناصر للأمة العربية ولكل أمة إسلامية تريد أن تهتدى بهديه هو تطبيق عملي لتعاليم الإسلام الكلية تطبيقاً يلبي مطالب هذا العصر .

ولنوضح ما نشير إليه نقول إن الإسلام عني بوضع هذه التعاليم الكلية في فضائلها الثلاث من خافية واقتصادية وسياسية . تعاليم سياسية صريحة إلى جانب تعاليم اقتصادية حاسمة حتى تتفاعل

هذه التعاليم مع التعاليم الخلقية فيستقيم أمر المجتمع الانساني إلى
أبد الدهر .

وهذه التعاليم بفروعها الثلاثة تتساند وتتفاعل معا في تنظيم
المجتمع وهذا التساند والتكامل في التعاليم الإسلامية بفروعها
الثلاثة هو ميزة النظام الإسلامي على جميع النظم السابقة أو المعاصرة .
وهذه آية كريمة تبرز لنا مدى هذا التساند والتكامل قال تعالى
(والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم
يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى
بينهم وما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)
فالشورى في الآية (وأمرهم شورى بينهم) هي الدعامة الأساسية
لديمقراطية السليمة ويحفها من اليمين بتعاليم أخلاقية رفيعة يلتزمها
المواطنون جميعا (والذين يجتنبون كبائر الإثم . . . إلخ) ومن
اليسار باتجاه اقتصادي معين يهدف إلى توجيه سياسة الحكم إلى البر
بالمواطنين (وما رزقناهم ينفقون) وهو أساس الاشتراكية
الرشيدة . والفقرة الأخيرة (والذين إذا أصابهم البغي . . . إلخ)
تنقلنا إلى نطاق داخلي ودولي معا فإذا أصاب مجتمعنا عدوان من
مجتمع آخر فهو ينهانا عن الاستسلام ويأمرنا بصد العدوان وإعداد
القوة لدفعه حتى نتنصر على البغي وهكذا تقترن الديمقراطية
السياسية بديمقراطية اقتصادية وبنهج أخلاقي يلتزمه المواطنون
وإلا كانت ديمقراطية زائفة فاشلة .

خاتمة

ولو أن باحثاً تتبع كل كلمة في هذا الميناف وكل مبدأ قام عليه وأراد أن يرجعها إلى نظائرها من كتاب الله وسنة رسوله لاستطاع أن يأتي في ذلك بما يطعم القلوب ويشفي الصدور ويوضح السبيل القويم الذي سلكه معلمنا الأكبر فيلسوف التورة المؤمنة جمال عبد الناصر في التعبئة الروحية بالميثاق . ولا عجب في أن يسلك بنا البطل المؤمن (جمال) هذا المسلك ليجد ديننا وقيمنا الروحية ويربي أبناءنا تلك التربية الخلقية والدينية التي نالت أكبر قسط من عناية الأمم الإسلامية ومفكرها فكان التفقه في الدين والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل أسمى غايات التربية الإسلامية وفي هذا يقول عليه السلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وللتربية الروحية في النظم الإسلامية وسائل نظرية وأخرى عملية : أما الوسائل النظرية فتتمثل في شرح الفضائل والرذائل وتحبيب الفضائل إلى النفوس ببيان محاسنها وما لها من آثار نافعة في حياة الأفراد والجماعات ، والتنفير من الرذائل ببيان مساوئها وما لها من آثار ضارة هدامة قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

وأما الوسائل العملية فهي أهم بكثير في نظر الإسلام من الوسائل النظرية وهذه الوسائل العملية هي :

الأولى : أن تبث الأخلاق عن طريق القدوة الصالحة ومحاكاة

السلوك الفاضل وفي هذا يقول الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

الثانية : تتمثل في أخذ الصبي وغيره بمزاولة الفضائل الخلقية والواجبات الدينية مزاولة عملية حتى تصبح هذه الفضائل وهذه الواجبات عادة وطبيعة له وفي هذا يقول عليه السلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

الثالثة : تتمثل في إبعاد المؤثرات الضارة بالأخلاق ومن ثم يرى مفكرو الإسلام أنه من الواجب أن يستبعد من الدراسة في المراحل الأولى الأدب المكشوف والخليع شعره ونثره وقصصه لما يحدثه هذا اللون من الأدب من أثر سيء في أخلاق الناشئة (روه من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه)

ولعلنا جميعاً ندرك أن باعث نهضتنا وحارس قيمنا الروحية (رئيسنا جمال) قد أخذنا بهذه الوسائل الإسلامية في شحن أرواحنا بالتوجيه الإنساني وإعدادنا للسير في طريق السلوك القويم لتحقيق القيم الأخلاقية أو الروحية أو الإنسانية الفاضلة المستوحاة من توجيهات الدين وتعاليمه .

وهكذا نلمس في الميثاق نفحة من الروحانية المتدفقة ونحس انعكاسه نورانية متوهجة لتلك العقيدة المتينة المتغلغلة في قلب صاحب الميثاق ونشعر بأن (عبد الناصر) لم يكن هو الذي يتحدث.

بالميثاق في غلالة الإشراف المؤمن ورواء الإسلام الهادف ولكن
المتحدث به كان حقاً أمل أمة ورجاء شعب ولسان نهضة وعنوان
بعث وصوت تاريخ ، إنه انتفاضة اليقظة وومضة الوعي وانطلاقة
القائد لأمتة العربية إلى آفاق المستقبل الباسم والغد المشرق
السعيد . .

مشروع الميثاق نسخ

بحث للأستا

بحث للأستا

بحث للأستا

بحث للسيد



١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤١٠١٢ - ٤٠٧٥٣ | تليفون

٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨

لجنة اخترنا للطالب

عاطف البرقوقي : رئيس اللجنة

محمد عطا : مقرر اللجنة

أعضاء

محمود محمود

الدكتور حسين النجار

على الجهبلاطي



١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤٠٨٨ - ٤٠٨١٤ } تليفون
٤١٠١٢ - ٤٠٧٥٣ }